معلومات البحث
أستلم: 05-09-2015
المراجعة: 22-09-2015
النشر: 1-10-2015

مشروع برنامج للتبويب الشامل والمفصل لعلوم القرآن والتفسير "سورة الحجرات نموذجا"

الكبير حميدي[1] عبد السلام جاكمي[2] محمد مبارك اللهيبي[3] أكرم محمد زكي[4]

[1] مسلك الدراسات الاسلامية، الكلية المتعددة التخصصات، جامعة المولى اسماعيل، الراشيدية، المغرب

[2] قسم المعلوميات، هندسة البرمجيات، كلية العلوم و التقنيات، جامعة المولى اسماعيل، الراشيدية، المغرب

[3] عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد، جامعة ام القرى، العربية السعودية

[4] قسم أنظمة المعلومات، كلية المعلومات والاتصالات، الجامعة الإسلامية العالمية كوالالمبور، ماليزيا

, ajakimi@yahoo.fr, lakbir1973@yahoo.fr
mmlehaibi@uqu.edu.sa, akramzeki@yahoo.com

Printed ISSN: 2314-7113
Online ISSN: 5809-2289

الملخص

يكتسي علم تبويب المعارف أهمية خاصة في مجال الحوسبة وبرمجة المعارف والعلوم. ومن يرجع إلى مواقع الإنترنت، والمكتبات الإليكترونية، والبرامج الحاسوبية، الخادمة للقرآن وعلومه، يلاحظ جنوحها إلى التخصص، وافتقارها إلى الرؤية المستوعبة والنظر الشمولي، وميلها إلى تقديم الخدمة العلمية المتعلقة بكتاب الله، من زاوية أو زوايا معينة. كما أن تبويبها لمباحث ومواضيع علوم القرآن والتفسير، لا يخلو من نوع من الارتجال، وقلة التنظيم، والافتقار إلى الدقة المطلوبة في مجال البرمجة. يسعى مشروع البرنامج الذي نقترحه، إلى تقديم أيسر وأشمل وأدق خدمة علمية للقرآن الكريم، من خلال الحاسب والإنترنيت، خدمة تكون في متناول كل الناس، وتناسب المستويات الثقافية المختلفة، وتجعل الوصول إلى المعرفة القرآنية أمرا يسيرا جدا، إنه مشروع برنامج التبويب الشامل والمفصل لعلوم القرآن والتفسير(سورة الحجرات نموذجا)، حسب سور وآيات القرآن الكريم، والذي يتكون من نافذتين كبيرتين، في كل نافذة منها عدة أبواب. النافذة الأولى تخص

التعريف الإجمالي بالسورة وتشتمل على ستة أبواب أما النافذة الثانية فتحوي الدراسة المفصلة للسورة القرآنية وتشمل على ثلاثة وعشرين بابا.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، التبويب الشامل، التعريف الإجمالي، الدراسة المفصلة، سورة الحجرات.

ABSTRACT

An Ontology Model for the Holy Quran Sciences "Surat al-Hujurat Model"

Ontology gained a highly appreciated importance in field of computing and knowledge and sciences organization. Internet websites, digital libraries and software that serve the holy Quran and it sciences can be criticized in terms of organization and accessibility. According to the researchers knowledge and experience, there is no system that serve the Quran by providing a comprehensive and well organized scientific services. In this context this project is proposing a complete and easy to access system that uses ontological framework to build a comprehensive and detailed knowledge based system for Quranic sciences and interpretations (Surat Al-Hujurat Model). This system is comprised of two general classes. This first class provides a general introduction to each Quranic verse and then subdivided into six categories for related sciences and services. The second general class is focusing on the detailed study of a Quranic Sura and this class is also subdivided into twenty three subclasses.

Keywords: Holy Quran, Ontology, Quranic sciences, Surat Al-Hujurat.

المقدمة

عرفت المكتبات الإلكترونية، ومواقع الإنترنت، والبرامج الحاسوبية، الخادمة للقرآن الكريم وعلومه، تطورا مطردا وملحوظا في العقدين الأخيرين، وتتابعت الجهود العلمية والتقنية والبرمجية المباركة في هذا المجال، وتطورت من حسن إلى أحسن، واستفاد اللاحق منها من السابق، وأسفر هذا الحراك العلمي والتقني عن ثروة هائلة من المواقع والمكتبات، ومن الكتب والبحوث، ومن الدراسات والمقالات، سهلت الوصول إلى المعرفة القرآنية، وجعلتها في المتناول، ووفرت على الباحثين كثيرا من الجهد والوقت والمال، بتوظيفها لأحدث التقنيات والبرمجيات، التي يسرت تخزين وتداول وتوظيف ونشر الثقافة والعلوم والمعرفة القرآنية.

غير أن الذي يرجع إلى مواقع الإنترنت، والمكتبات الإليكترونية، والبرامج الحاسوبية، الخادمة للقرآن وعلومه، يلاحظ جنوحها إلى التخصص، وافتقارها إلى الرؤية المستوعبة والنظر الشمولي، إذ يميل أغلبها إلى تقديم الخدمة العلمية المتعلقة بكتاب الله، من زاوية أو زوايا معينة، مثل التفسير أو علوم القرآن أو غيرهما. كما أن تصنيفها لمباحث علوم القرآن والتفسير، لا يخلو من نوع من الارتجال، وقلة التنظيم، والافتقار إلى الدقة المطلوبة في مجال البرمجة، وطغيان الكم على النوع. كما أن الغالب على تلك البرامج هو خدمة الكتب الإليكترونية سواء بصيغة word أو Pdf، مع العلم أن من يتعامل مع الكتب ويستفيد منها، هم قلة من الباحثين والمثقفين، أما أغلب الناس اليوم فقد حال بينهم وبين الكتب حواجز وعقبات، بعضها نفسي وبعضها تقني وبعضها مهاري.

ومن عيوب البرامج المتوفرة في مجال علوم القرآن والتفسير، أنها تفصل بين الخدمات العلمية، فتفصل مثلا بين علم التفسير وسائر علوم القرآن، وبين التفسير والقراءات القرآنية [ابن كثير ومن معه، 1980]، مع أن الأصل هو التعامل مع تلك العلوم على أنها نسق منظم ومترابط، ووحدة جامعة ومنسجمة، من خلال جمعها وترتيبها في شكل أبواب متوازية ومرتبة، تمكن الباحث والقارئ العادي من الوصول إلى كل ما يتعلق بالآية القرآنية من معان وأحكام[المعافري] وإشارات ولطائف وعلوم ومعارف، بأقل جهد، وفي أسرع وقت ممكن.

ولا يوجد لحد الآن – فيما نعلم – برنامج حاسوبي يقدم الخدمة العلمية القرآنية، بشكل مباشر وميسر ومنظم وشامل، وليس من خلال خدمة الكتب الإليكترونية، وما هو متوفر من ذلك إنما يقدم خدمة جزئية متعلقة بمباحث ومواضيع بعينها، ولا يقدم الخدمة العلمية الشاملة، وإن أفلح في تقديمها لم يفلح في جعلها سهلة ميسورة وفي المتناول، ولم يعر الجانب المنهجي التنظيمي ما يستحق من اهتمام.

وبناء على ما سبق، فإن مشروع البرنامج الذي نقترحه، يسعى إلى تقديم أيسر وأشمل وأدق خدمة علمية للقرآن الكريم، من خلال الحاسب والإنترنيت، خدمة تكون في متناول كل الناس، وتناسب المستويات الثقافية المختلفة، وتجعل الوصول إلى المعرفة القرآنية أمرا يسيرا جدا، إنه مشروع برنامج التبويب الشامل والمفصل لعلوم القرآن والتفسير، حسب سور وآيات القرآن الكريم، والذي يتكون من نافذتين كبيرتين، في كل نافذة منها عدة أبواب، على النحو الآتي:

النافذة الأولى: التعريف الإجمالي بالسورة: وتسعى إلى دراسة السورة دراسة إجمالية عامة، قبل الانتقال إلى دراستها آية أية، وتشتمل على ستة أبواب على النحو الآتي:

الباب الأول: تسمية السورة.

الباب الثاني: مكية أم مدنية.

الباب الثالث: عدد آياتها.

الباب الرابع: سبب النزول.

الباب الخامس: مواضيع السورة.

الباب السادس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

النافذة الثانية: الدراسة المفصلة للسورة القرآنية، بدراستها آية آية، وتتكون من ثلاثة وعشرين بابا على النحو الآتي:

الباب الأول: نص الآية برواية حفص عن عاصم.

الباب الثاني: نص الآية برواية ورش عن نافع.

الباب الثالث: القراءات المتواترة للآية.

الباب الرابع: القراءات الشاذة المفيدة في تفسير الآية.

الباب الخامس: سبب نزول الآية.

الباب السادس: شرح المفردات الغريبة.

الباب السابع: الآيات القرآنية المفسرة للآية.

الباب الثامن: الأحاديث النبوية الصحيحة المفسرة للآية.

الباب التاسع: أقوال الصحابة في تفسير الآية.

الباب العاشر: أقوال التابعين في تفسير الآية.

الباب الحادي عشر: أقوال كبار المفسرين.

الباب الثاني عشر: المعنى الإجمالي للآية.

الباب الثالث عشر: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

الباب الرابع عشر: الأحكام العقيدية.

الباب الخامس عشر: الأحكام الفقهية.

الباب السادس عشر: القواعد الفقهية.

الباب السابع عشر: القواعد الأصولية.

الباب الثامن عشر: السنن النفسية والتربوية.

الباب التاسع عشر: السنن الاجتماعية والتاريخية والحضارية.

الباب العشرون: السنن المادية والطبيعية.

الباب الواحد والعشرون: الأساليب التعبيرية.

الباب الثاني والعشرون: الصور الفنية والبلاغية.

الباب الثالث والعشرون: اللطائف اللغوية والبديعية.

تقدم الفقرة 2 عرضا تفصيليا لمشروع البرنامج المتوخى تطويره بالاعتماد على سورة الحجرات نموذجا لدراسة الحالة. تلخص الفقرة 3 ما تطرقنا اليه في هذا العمل مع اقتراح بعض الاعمال المستقبلية.

عرض تطبيقي لمشروع البرنامج

سبق أن عرضنا في مقدمة المقالة النوافذ والأبواب، التي يعتمد عليها برنامج التبويب الشامل لعلوم القرآن والتفسير، وبقي أن نحاول تطبيق البرنامج على سورة من سور القرآن، حتى يتبين مدى صلاحيته للتطبيق، ونتائجه العملية، وقد وقع اختيارنا على سورة الحجرات نموذجا لتطبيق مشروع البرنامج المقترح، فتوصلنا إلى النتائج المبينة أسفله.

النافذة الأولى: التعريف الإجمالي بسورة الحجرات

تشمل هذه النافذة على ستة أبواب مفصلة بشكل مدقق، على النحو الآتي:

الباب الأول: تسمية السورة.

جاء عند الواحدي في أسباب النزول عن تسمية السورة: " أخبرنا أحمد بن عبيد الله المخلدي قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن زياد الدقاق قال: حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد بن يحيى العتكي قال: حدثنا المعتمر بن سليمان قال: حدثنا داود الطفاوي قال: حدثنا أبو مسلم البجلي قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أتى ناس النبي – صلى الله عليه وسلم – وسلموا، فجعلوا ينادونه وهو في الحجرة: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله تعالى: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون). وقال محمد بن إسحاق وغيره: نزلت في جفاة بني تميم، قدم وفد منهم على النبي – صلى الله عليه وسلم – فدخلوا المسجد، فنادوا النبي – صلى الله عليه وسلم – من وراء حجرته: أن اخرج إلينا يا محمد، فإن مدحنا زين، وإن ذمنا شين، فآذى ذلك من صياحهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فخرج إليهم، فقالوا: إنا جئناك يا محمد نفاخرك، ونزل فيهم: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) وكان فيهم الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم".

الباب الثاني: مكية أم مدنية.

جاء في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: " سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية".

قال الشوكاني[الشوكاني، 2004] في فتح القدير: " هي مدنية. قال القرطبي [القرطبي، 1988] بالإجماع. وأخرج ابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه، والبيهقي، عن ابن عباس، وابن الزبير، أنها نزلت بالمدينة ".

الباب الثالث: عدد آياتها.

جاء في البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي: " سورة الحجرات ثماني عشرة آية مدنية".

الباب الرابع: سبب النزول.

قال أبو حيان [أبو حيان]: " وكانت عادة العرب، وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء، وأن يتكلم كل بما شاء ويفعل ما أحب، فجرى من بعض من لم يتمرن على آداب الشريعة بعض ذلك. قال قتادة: فربما قال قوم: ينبغي أن يكون كذا لو أنزل في كذا".

قال القرطبي: " قال العلماء: كان في العربي جفاء وسوء أدب في خطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتلقيب الناس. فالسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب".

الباب الخامس: مواضيع السورة.

قال الفخر الرازي [الرازي، 1990] في هذه السورة: " إن فيها إرشاد المؤمنين إلى مكارم الأخلاق وهي: إما مع الله أو مع رسوله صلى الله عليه وسلم أو مع غيرهما من أبناء الجنس، وهم على صنفين لأنهم: إما أن يكونوا على طريقة المؤمنين من الطاعة، وإما أن يكونوا خارجين عنها بالفسق، والداخل في طريقتهم: إما حاضر عندهم، أو غائب عنهم، فذكر الله في هذه السورة خمس مرات (يا أيها الذين آمنوا) وأرشد بعد كل مرة إلى مكرمة من قسم من الأقسام الخمسة: فقال أولا:(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وهي تشمل طاعة الله تعالى، وذكر الرسول معه للإشارة إلى أن طاعة الله لا تعلم إلا بقول الرسول فهذه طاعة للرسول تابعة لطاعة الله. وقال ثانيا:(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) لبيان الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم لذاته في باب حسن المعاملة. وقال ثالثا: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ) الآية ؛ للتنبيه على طريقة سلوك المؤمنين في معاملة من يعرف بالخروج عن طريقتهم وهي طريقة الاحتراز منه لأن عمله إفساد في جماعتهم، وأعقبه بآية (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وقال رابعا: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) إلى قوله:(فأولئك هم الظالمون) فنهى عما يكثر عدم الاحتفاظ فيه من المعاملات اللسانية التي قلما يقام لها وزن. وقال خامسا: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) إلى قوله (تواب رحيم)".

قال ابن عاشور تعقيبا على كلام الفخر: " ويريد: أن الله ذكر مثالا من كل صنف من أصناف مكارم الأخلاق بحسب ما اقتضته المناسبات في هذه السورة بعد الابتداء بما نزلت السورة لأجله ابتداء ليكون كل مثال منها دالا على بقية نوعه ومرشدا إلى حكم أمثاله دون كلفة ولا سآمة".

الباب السادس: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

قال البغوي [البغوي] في تفسيره: " ومناسبتها لآخر ما قبلها ظاهرة، لأنه ذكر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه، ثم قال: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، فربما صدر من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي أن ينهى عنه، فقال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ".

النافذة الثانية: الدراسة المفصلة للسورة القرآنية

تشمل هذه النافذة على ثلاثة وعشرين بابا وتخص الدراسة المفصلة للسورة القرآنية، بدراستها آية آية على النحو الآتي:

الباب الأول: نص الآية برواية حفص عن عاصم.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (1)

الباب الثاني: نص الآية برواية ورش عن نافع.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (1)

الباب الثالث: القراءات المتواترة للآية.

قال الطبري[الطبري، 1995]: " وبضم التاء من قوله (لا تقدموا) قرأ قراء الأمصار، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها، لإجماع الحجة من القراء عليها، وقد حكي عن العرب قدمت في كذا، وتقدمت في كذا، فعلى هذه اللغة لو كان قيل: (لا تقدموا) بفتح التاء كان جائزا".

وقال أبو حيان: " وقرأ الجمهور: لا تقدموا، فاحتمل أن يكون متعديا، وحذف مفعوله ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم، فلم يقصد لشيء معين، بل النهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين، كقولهم: فلان يعطي ويمنع. واحتمل أن يكون لازما بمعنى تقدم، كما تقول: وجه بمعنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل إليه بحرف، أي لا تتقدموا في شيء ما من الأشياء، أو بما يحبون".

الباب الرابع: القراءات الشاذة المفيدة في تفسير الآية.

قال أبو حيان: " وقرأ الجمهور: لا تقدموا، فاحتمل أن يكون متعديا، وحذف مفعوله ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم، فلم يقصد لشيء معين، بل النهي متعلق بنفس الفعل دون تعرض لمفعول معين، كقولهم: فلان يعطي ويمنع. واحتمل أن يكون لازما بمعنى تقدم، كما تقول: وجه بمعنى توجه ويكون المحذوف مما يوصل إليه بحرف، أي لا تتقدموا في شيء ما من الأشياء، أو بما يحبون. ويعضد هذا الوجه قراءة ابن عباس وأبي حيوة والضحاك ويعقوب وابن مقسم: لا تقدموا، بفتح التاء والقاف والدال على اللزوم، وحذفت التاء تخفيفا، إذ أصله لا تتقدموا. وقرأ بعض المكيين: تقدموا بشد التاء، أدغم تاء المضارعة في التاء بعدها، كقراءة البزي. وقرئ: لا تقدموا، مضارع قدم، بكسر الدال، من القدوم، أي لا تقدموا إلى أمر من أمور الدين قبل قدومها، ولا تعجلوا عليها".

الباب الخامس: سبب نزول الآية.

قال القرطبي: اختلف في سبب نزولها على أقوال ستة:

الأول: ما ذكره الواحدي من حديث ابن جريج قال: حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أنه قدم ركب من بني تميم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد. وقال عمر: أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافك. فتماديا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزل في ذلك: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله –إلى قوله – ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح، ذكره المهدوي أيضا.

الثاني: ما روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أراد أن يستخلف على المدينة رجلا إذا مضى إلى خيبر، فأشار عليه عمر برجل آخر، فنزل:) يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) ذكره المهدوي أيضا.

الثالث: ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنفذ أربعة وعشرين رجلا من أصحابه إلى بني عامر فقتلوهم، إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة، فلقوا رجلين من بني سليم فسألوهما عن نسبهما فقالا: من بني عامر لأنهم أعز من بني سليم فقتلوهما، فجاء نفر من بني سليم إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالوا: إن بيننا وبينك عهدا، وقد قتل منا رجلان، ففداهما النبي – صلى الله عليه وسلم – بمائة

بعير، ونزلت عليه هذه الآية في قتلهم الرجلين.

الرابع: وقال قتادة: إن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا، لو أنزل في كذا ؟ فنزلت هذه الآية. ابن عباس: نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه. مجاهد: لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله، ذكره البخاري أيضا.

الخامس: وقال الحسن: نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصلي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأمرهم أن يعيدوا الذبح.

ابن جريج : لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال القرطبي: هذه الأقوال الخمسة المتأخرة ذكرها القاضي أبو بكر بن العربي، وسردها قبله الماوردي. قال القاضي: وهي كلها صحيحة تدخل تحت العموم، فالله أعلم ما كان السبب المثير للآية منها، ولعلها نزلت دون سبب، والله أعلم.

الباب السادس: شرح المفردات الغريبة.

قال الإمام الطبري: " محكي عن العرب: فلان يقدم بين يدي إمامه، بمعنى يعجل بالأمر والنهي دونه".

وجاء في تفسير البغوي: " قال أبو عبيدة: تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، والمعنى: بين اليدين الأمام. والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما".

وفي التحرير والتنوير للعلامة ابن عاشور: " والتقدم حقيقته: المشي قبل الغير، وفعله المجرد: قدم من باب نصر، قال تعالى: **يقدم قومه يوم القيامة.** وحق قدم بالتضعيف أن يصير متعديا إلى مفعولين لكن ذلك لم يرد وإنما يعدى إلى المفعول الثاني بحرف (على)، ويقال: قدم بمعنى تقدم كأنه قدم نفسه، فهو مضاعف صار غير متعد. فمعنى لا تقدموا لا تتقدموا، ففعل لا تقدموا مضارع: قدم القاصر بمعنى تقدم على غيره وليس لهذا الفعل مفعول، ومنه اشتقت مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة منه وهي ضد الساقة. ومنه سميت مقدمة الكتاب الطائفة منه المتقدمة على الكتاب. ومادة فعل تجيء بمعنى تفعل، مثل وجه بمعنى توجه وبين بمعنى تبين، ومن أمثالهم: بين الصبح لذي عينين ولا رؤء ،والتركيب تمثيل بتشبيه حال من يفعل فعلا دون إذن من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحال من يتقدم مماشيه في مشيه ويتركه خلفه. ووجه الشبه الانفراد عنه في الطريق والنهي هنا للتحذير إذ لم يسبق صدور فعل من أحد افتياتا على الشرع. ويستروح من هذا

أن هذا التقدم المنهي عنه هو ما كان في حالة إمكان الترقب والتمكن من انتظار ما يبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم بأمر الله فيومئ إلى أن إبرام الأمر في غيبة الرسول صلى الله عليه وسلم لا حرج فيه ".

وقال ابن عاشور: " والسميع: العليم بالمسموعات، والعليم أعم".

قال الشنقيطي[الشنقيطي ومن معه، 1995] في أضواء البيان: " قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: (لا تقدموا) فيه لعلماء التفسير ثلاثة أوجه: الأول منها وهو أصحها وأظهرها أنه مضارع " قدم " اللازم بمعنى تقدم. ومنه مقدمة الجيش، ومقدمة الكتاب بكسر الدال فيهما، وهو اسم فاعل " قدم " بمعنى تقدم ويدل لهذا الوجه قراءة يعقوب من الثلاثة الذين هم تمام العشرة: " لا تقدموا " بفتح التاء والدال المشددة، وأصله: لا تتقدموا فحذفت إحدى التاءين. الوجه الثاني: أنه مضارع " قدم " المتعدي، والمفعول محذوف لإرادة التعميم، أي: لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله ورسوله بل أمسكوا عن ذلك حتى تصدروا فيه عن أمر الله ورسوله. الوجه الثالث: أنه مضارع " قدم " المتعدي، ولكنها أجريت مجرى اللازم، وقطع النظر عن وقوعها على مفعولها، لأن المراد هو أصل الفعل دون وقوعه على مفعول. ونظير ذلك قوله تعالى: (وهو الذي يحيي ويميت) ، أي هو المتصف بالإحياء والإماتة، ولا يراد في ذلك وقوعهما على مفعول. وكقوله تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) ، لأن المراد أن المتصفين بالعلم لا يستوون مع غير المتصفين به. ولا يراد هنا وقوع العلم على مفعول، وكذلك على هذا القول: لا تقدموا لا تكونوا من المتصفين بالتقديم".

قال الشنقيطي: " وقد قدمنا في كلامنا الطويل على آية: (أفلا يتدبرون القرآن) أن لفظة: بين يديه ، معناها أمامه، وذكرنا الآيات الدالة على ذلك".

الباب السابع: الآيات القرآنية المفسرة للآية.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: " وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولا أوليا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله. وقد أوضحنا هذه بالآيات القرآنية بكثرة في سورة الشورى في الكلام على قوله تعالى:(وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) ، وفي سورة الكهف في الكلام على قوله تعالى: (ولا يشرك في حكمه

أحدا) ، وفي سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) ، وفي غير ذلك من المواضع".

الباب الثامن: الأحاديث النبوية الصحيحة المفسرة للآية.

قال ابن كثير: " يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ: (إذ) قال له النبي – صلى الله عليه وسلم – حين بعثه إلى اليمن: (بم تحكم ؟ قال: بكتاب الله. قال: فإن لم تجد؟. قال: بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟. قال: أجتهد رأيي، فضرب في صدره وقال: " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله. وقد رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي ، وابن ماجه، قال ابن كثير: " فالغرض منه أنه أخر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله".

الباب التاسع: أقوال الصحابة في تفسير الآية.

قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله): لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة. وقال العوفي عنه: نهى أن يتكلموا بين يدي كلامه.

الباب العاشر: أقوال التابعين في تفسير الآية.

قال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بشيء، حتى يقضي الله على لسانه.

وقال الضحاك: لا تقضوا أمرا دون الله ورسوله من شرائع دينكم.

وقال سفيان الثوري:)لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بقول ولا فعل.

وقال الحسن البصري: (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) قال: لا تدعوا قبل الإمام.

وقال قتادة: ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون: لو أنزل في كذا كذا، وكذا لو صنع كذا، فكره الله ذلك، وتقدم فيه.

الباب الحادي عشر: أقوال كبار المفسرين.

الطبري: " يعني – تعالى ذكره – بقوله (يا أيها الذين آمنوا): يا أيها الذين أقروا بوحدانية الله، وبنبوة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) يقول: لا تعجلوا بقضاء أمر في حروبكم أو دينكم، قبل أن يقضي الله

لكم فيه ورسوله، فتقضوا بخلاف أمر الله وأمر رسوله وقوله: (واتقوا الله إن الله سميع عليم) يقول: وخافوا الله أيها الذين آمنوا في قولكم، أن تقولوا ما لم يأذن لكم به الله ولا رسوله، وفي غير ذلك من أموركم، وراقبوه، إن الله سميع لما تقولون، عليم بما تريدون بقولكم إذا قلتم، لا يخفى عليه شيء من ضمائر صدوركم، وغير ذلك من أموركم وأمور غيركم ".

القرطبي: "أي: لا تقدموا قولا ولا فعلا، بين يدي الله وقول رسوله وفعله، فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا. و من قدم قوله أو فعله على الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد قدمه على الله تعالى، لأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – إنما يأمر عن أمر الله عز وجل. (واتقوا الله) يعني في التقدم المنهي عنه، (إن الله سميع) لقولكم (عليم) بفعلكم".

أبو حيان: " والمعنى: لا تقطعوا أمرا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا عاملين بالوحي المنزل، أو مقتدين برسول الله – صلى الله عليه وسلم".

ابن كثير: " أي: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه، أي: قبله، بل كونوا تبعا له في جميع الأمور (واتقوا الله) أي: فيما أمركم به،(إن الله سميع) أي: لأقوالكم (عليم) بنياتكم".

ابن عاشور: " والمقصود من الآية النهي عن إبرام شيء دون إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر قبله اسم الله للتنبيه على أن مراد الله إنما يعرف من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد حصل من قوله: " لا تقدموا " إلخ معنى اتبعوا الله ورسوله.

الشنقيطي: " والمعنى لا تتقدموا أمام الله ورسوله: فتقولوا في شيء بغير علم ولا إذن من الله، وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولا أوليا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله، وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة:(واتقوا الله) أي بامتثال أمره واجتناب نهيه. وقوله: (إن الله سميع عليم) فهو سميع لكل ما تقولون من التقديم بين يديه وغيره، عليم بكل ما تفعلون من التقديم بين يديه وغيره".

الباب الثاني عشر: المعنى الإجمالي للآية.

ابن كثير: " هذه آداب أدب الله بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام".

الباب الثالث عشر: مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها.

قال العلامة ابن عاشور: " وجعلت هذه الآية في صدر السورة مقدمة على توبيخ وفد بني تميم حين نادوا النبي صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات لأن ما صدر من بني تميم هو من قبيل رفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم ولأن مماراة أبي بكر وعمر وارتفاع أصواتهما كانت في قضية بني تميم فكانت هذه الآية تمهيدا لقوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية، لأن من خصه الله بهذه الحظوة، أي جعل إبرام العمل بدون أمره كإبرامه بدون أمر الله حقيق بالتهيب والإجلال أن يخفض الصوت لديه. وإنما قدم هذا على توبيخ الذين نادوا النبي صلى الله عليه وسلم لأن هذا أولى بالاعتناء إذ هو تأديب من هو أولى بالتهذيب".

الباب الرابع عشر: الأحكام العقيدية.

قال الشنقيطي في أضواء البيان: " وهذه الآية الكريمة فيها التصريح بالنهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله، ويدخل في ذلك دخولا أوليا تشريع ما لم يأذن به الله وتحريم ما لم يحرمه، وتحليل ما لم يحلله، لأنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا حلال إلا ما أحله الله، ولا دين إلا ما شرعه الله".

الباب الخامس عشر: الأحكام الفقهية.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: " إذا قلنا إنها نزلت في تقديم الطاعات على أوقاتها فهو صحيح، لأن كل عبادة مؤقتة بميقات لا يجوز تقديمها عليه كالصلاة والصوم والحج، وذلك بين. إلا أن العلماء اختلفوا في الزكاة، لما كانت عبادة مالية وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم، وهو سد خلة الفقير، ولأن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعجل من العباس صدقة عامين، ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقيها يوم الوجوب وهو يوم الفطر، فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها العام والاثنين. فإن جاء رأس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها، وإن جاء رأس العام وقد تغير النصاب تبين أنها صدقة تطوع. وقال أشهب: لا يجوز تقديمها على الحول لحظة كالصلاة، وكأنه طرد الأصل في العبادات

فرأى أنها إحدى دعائم الإسلام فوفاها حقها في النظام وحسن الترتيب. ورأى سائر علمائنا أن التقديم اليسير فيها جائز، لأنه معفو عنه في الشرع بخلاف الكثير. وما قاله أشهب أصح، فإن مفارقة اليسير الكثير في أصول الشريعة صحيح، ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير. فأما في مسألتنا فاليوم فيه كالشهر، والشهر كالسنة. فإما تقديم كلي كما قاله أبو حنيفة والشافعي، وإما حفظ العبادة على ميقاتها كما قال أشهب.

الباب السادس عشر: القواعد الفقهية.

قال العلامة القرطبي: " (لا تقدموا بين يدي الله) أصل في ترك التعرض لأقوال النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإيجاب اتباعه والاقتداء به، وكذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في مرضه: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء، فمر عمر فليصل بالناس. فقال – صلى الله عليه وسلم –: (إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس) فمعنى قوله (صواحب يوسف): الفتنة بالرد عن الجائز إلى غير الجائز. وربما احتج بغاة القياس بهذه الآية، وهو باطل منهم، فإن ما قامت دلالته فليس في فعله تقديم بين يديه، وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع، فليس إذا تقدم بين يديه".

قال العلامة ابن عاشور: "وهذه الآية تؤيد قول الفقهاء: إن المكلف لا يقدم على فعل حتى يعلم حكم الله فيه. وعد الغزالي العلم بحكم ما يقدم عليه المكلف من قسم العلوم التي هي فرض على الأعيان الذين تعرض لهم".

الباب السابع عشر: القواعد الأصولية.

قال ابن عاشور: " وجملة إن الله سميع عليم في موضع العلة للنهي عن التقدم بين يدي الله ورسوله وللأمر بتقوى الله".

الباب الثامن عشر: السنن النفسية والتربوية.

قال العلامة ابن عاشور: " وقد سلك القرآن لإقامة أهم حسن المعاملة طريق النهي عن أضدادها من سوء المعاملة لأن درء المفسدة مقدم في النظر العقلي على جلب المصلحة".

الباب التاسع عشر: السنن الاجتماعية والتاريخية والحضارية.

(لم يرد في الآية شيء منها).

الباب العشرون: السنن المادية والطبيعية.

(لم يرد في الآية شيء منها).

الباب الواحد والعشرون: الأساليب التعبيرية.

العلامة ابن عاشور: " الافتتاح بنداء المؤمنين للتنبيه على أهمية ما يرد بعد ذلك النداء لتترقبه أسماعهم بشوق، ووصفهم بـ الذين آمنوا جار مجرى اللقب لهم مع ما يؤذن به أصله من أهليتهم لتلقي هذا النهي بالامتثال".

الباب الثاني والعشرون: الصور الفنية والبلاغية.

قال أبو حيان في البحر المحيط: " والمكان المسامت وجه الرجل قريبا منه. قيل: فيه بين يدي المجلوس إليه توسعا، لما جاور الجهتين من اليمين واليسار، وهي في قوله: (بين يدي الله)، مجاز من مجاز التمثيل. وفائدة تصوير الهجنة والشناعة فيها، نهوا عنه من الإقدام على أمر دون الاهتداء على أمثلة الكتاب والسنة، والمعنى: لا تقطعوا أمرا إلا بعدما يحكمان به ويأذنان فيه، فتكونوا عاملين بالوحي المنزل، أو مقتدين برسول الله – صلى الله عليه وسلم".

وقال العلامة ابن عاشور: " والسميع: العليم بالمسموعات، والعليم أعم، وذكرها بين الصفتين كناية عن التحذير من المخالفة ففي ذلك تأكيد للنهي والأمر".

الباب الثالث والعشرون: اللطائف اللغوية والبديعية.

قال العلامة ابن عاشور في التحرير والتنوير: " وعطف واتقوا الله تكملة للنهي عن التقدم بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ليدل على أن ترك إبرام شيء دون إذن الرسول صلى الله عليه وسلم من تقوى الله وحده، أي ضده ليس من التقوى".

خاتمة

من خلال تطبيق مشروع برنامج التبويب الشامل والمفصل لعلوم القرآن والتفسير، على سورة الحجرات في قسم الدراسة الإجمالية، وعلى الآية الأولى منها في قسم الدراسة المفصلة، يتبين بحمد الله نجاعة وفعالية البرنامج، وقابليته للتطبيق،

وسهولة تنفيذه، وأهمية النتائج التي سوف يسفر عنها، إذ نجح نجاحا كبيرا في فرز المعارف القرآنية وتمييزها عن بعضها، وتصنيفها تصنيفا جيدا، وترتيبها بعناية وإحكام، وجعلها أيسر وأقرب ما تكون من القارئ، وكل ذلك يؤهل البرنامج لتجاوز عيوب وثغرات البرامج السابقة، ويرفعه إلى مستوى البديل الواعد والطموح في مجاله بإذن الله تعالى.

في العمل المقبل بحول الله، سوف نعمل على تبويب كل سور القران الكريم وبالتالي تطوير البرنامج المقترح ليشمل جميع السور مما يسهل نشر الثقافة والعلوم والمعرفة القرآنية.

المصادر والمراجع

[أبو حيان]

أبو حيان الأندلسي، (دت)، التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[ابن كثير ومن معه، 1980]

ابن كثير الحافظ أبو الفداء إسماعيل، (1980م)، تفسير القرآن العظيم، ط دار المعرفة، بيروت.

[البغوي]

البغوي الحسين بن مسعود، (دت)، تفسير البغوي، ط دار طيبة.

[الرازي، 1990]

الرازي فخر الدين، (1990م)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، الإمام، ط دار الفكر، بيروت.

[الشنقيطي ومن معه، 1995]

الشنقيطي محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، (1415هـ – 1995م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط دار الفكر.

[الشوكاني، 2004]

الشوكاني محمد بن علي بن محمد (1423هـ / 2004م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التأويل،، ط دار المعرفة.

[الطبري، 1995]

الطبري، محمد بن جرير، (1995م)، جامع البيان في تأويل آي القرآن،، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر.

[القرطبي، 1988]

القرطبي أبو عبد الله، (1988م)، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

[المعافري]

المعافري أبو بكر بن العربي (دت)، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط دار الفكر.

[القرطبي، 1994]

الواحدي أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي (1994م)، أسباب النزول، ط دار الفكر، بيروت.